الأهرام

المصدر : التوعية الاسلامية
التاريخ : ذو القعدة ١٤٠٣هـ

الأقليات الإسلامية
تكوينها وحجمها ...

الحلقة الأولى :

بقلم : الدكتور على الكتاني

يمكن تقدير عدد المسلمين في الوقت الراهن في العالم أجمع بحوالي ألف مليون نسمة يتزايدون سنويا بما لا يقل عن خمسة وعشرين مليون نسمة ، نتيجة التزايد الطبيعي في الأكثر . وينتشر هؤلاء المسلمون الذين يكونون أمة الاسلام في عصرنا الحاضر في القارات الخمس إذ لا يخلو بلد من بلدان العالم من جماعة إسلامية قل عددها أم كثر .

ولا يعيش المسلمون في دول يكونون فيها أكثرية إلا باعداد لا تزيد على ثلثي المجموع ، بينما يعيش الثلث الآخر ، أي ما يقارب ٣٥٠ مليون نسمة ، في دول يكونون فيها أقليات . ولقد عانى هذا الثلث من ضغوط الاستعمار والتغريب وانصهار الشخصية ما لم يعانيه الثلثان الآخران مهما صعب وضعهم واشتدت الوطأة عليهم ، وهذا الثلث الأقلية هو في غاية الأقلية بالنسبة للأمة الإسلامية إذا نظم وقويت شخصيته الاسلامية أصبح قوة مساندة للأمة الاسلامية جمعاء وحامل إشعاعها على العالم أجمع . أما إذا كان مشتتا أصبح عرضة للانصهار في المجتمعات الكافرة التي يعيش بينها وأدى ذلك لا محالة إلى تلاشى تلك الأقليات الاسلامية وضياعها مما يكون كارثة على الأمة الاسلامية إذ هذا الاهتمام هو ضروري كضرورة الاهتمام بمستقبل الأمة الاسلامية جمعاء ومستقبل الدول الإسلامية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ونبدأ سلسلة مقالات وعددها ثلاثة عشر مقالا عن الأقليات الإسلامية بهذا المقال. الذي يعطي فكرة عامة عن وضع ومواقع الأقليات الاسلامية في العام ، تتبعها مقالات مفصلة عن بعض الأقليات خاصة ، أو عن بعض مشاكلها بصفة عامة .

٢ ــ ما هي الأقلية الإسلامية ؟

ربما كان المفيد بادىء ذى بدء تحديد المفاهيم التي سنستعملها في هذه المقالات ، وقبل أن نحدد مفهوم « الأقلية الإسلامية » يجب علينا أولا ان نحدد من هو « المسلم » في هذا المجال ، وكذلك مفهوم الأقلية . فالمسلم ولاشك هو كل شخص يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ويؤمن بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية بغض النظر عن مدى تمكنه من ترجمة هذه العقيدة إلى حقيقة في حياته اليومية ، وبمعنى آخر إننا نحدد في هذه الدراسة « المسلم » كل من اعتبر نفسه مسلما مهما كانت جنسيته أو مكان اقامته في هذا العالم الشاسع . وليس هناك أية إمكانية أخرى لتحديد (المسلم) في دراسة تهتم بجماعات تعيش تحت ضغوط متنوعة يكون في كثير من الأحيان إعلان الإنتماء إلى الإسلام علامة على شجاعة ضد الاضطهاد وقوة شخصيته ضد تيارات الإنصهار .

أما الأقلية فهي مجموعة بشرية تعيش بين مجموعة بشرية أكثر عددا وتختلف عنها في خاصية من الخاصيات تصبح نتيجتها تعامل معاملة مختلفة عن معاملة الأكثرية . فيمكن أن تكون هذه الخاصية عرقية كاختلاف في اللون مثلا الذي يفرق الأقلية السوداء في اسبانيا ، أو دينية كالاقلية الكاثوليكية في ارلندا الشمالية مثلا . وفي كل الحالات لا تصبح الأقلية أقلية إلا إذا كان هذا الفارق العرقي أو اللغوي أو الديني مهما إما بالنسبة لأفراد الأقلية يجعلهم يحاولون الحفاظ عليه ، أو بالنسبة للأكثرية التي تحاول رفض ادماجه في المجموعة الأكثرية .

وبهذا يمكننا أن نقول إن الأقلية الإسلامية هي كل مجموعة بشرية تعيش بين مجموعة أكبر منها وتختلف عنها بكونها تنتمي إلى الاسلام وتحاول بكل جهدها الحفاظ عليه .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أما الحالة الأولى فهي الحالة التي تكون فيها الاسلام أصلًا في مكة المكرمة ، إذ نتيجة البعثة المحمدية تجمع حول الرسول ﷺ المسلمون الاوائل وسط المجتمع المكي المشرك آنذاك وحاولوا بجهدهم ترسيخ العقيدة الجديدة التي كون حاملوها أقلية مؤمنة وسط مجتمع كافر أدت بمجهوداتها الى جلب ذلك المجتمع بأكمله إلى الاسلام . وفي وقتنا الحاضر يمكن أن يعتنق أفراد الاسلام دون أن يتركوا مجتمعاتهم الكافرة . فإذا إزداد عدد هؤلا، وتنظم وكان المناخ مناسبا في بلدانهم والقوانين تسمح بذاك ، أصبحوا أقلية إسلامية داخل مجتمعاتهم ، ولقد تكونت أقليات من هذا النوع تحت أعيننا في الوقت المعاصر منها الأقلية الإسلامية في كوريا الجنوبية ، والأقلية الإسلامية في الجابون ، والأقلية الإسلامية في الأندلس بإسبانيا اليوم .

تتكون من ثلاثة عشر مقالا . أما المقالات الأخرى فسيهتم بعضها ببحث أوضاع خاصة للأقليات الاسلامية وبعضها الآخر بدراسة مركزة لبعض الأقليات الاسلامية والنظر إلى مشاكلها وأوضاعها . وسنختار من بين هذه الأقليات ، كمثل الأوضاع المختلفة للأقليات الاسلامية في العالم بدون الإنزواء إلى التشاؤم المتزايد أو التفاؤل المتزايد بل لإعطاء صورة عما هو عليه حال الأقليات الاسلامية اليوم من سلبيات وإيجابيات .

ونود أن يخرج القارىء بإذن الله بعد قراءة هذه السلسلة بنظرة متوازنة ومتكاملة عن موضوع الأقليات الإسلامية اليوم . فنطلب من الله الإعانة والتوفيق .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ومعنى هذا أنه إذا كان يعيش عدد من المسلمين في دولة غير إسلامية دون أن يكونوا مجموعة منظمة تحاول الدفاع على خاصيتها الإسلامية ، فهؤلاء لا يكونون أقلية إسلامية مهما كبر عددهم ، بل هم فقط مسلمون فرادى في مجموعة غير إسلامية ، وفي غالب الأحيان ينتهي الاسلام مع موتهم حيث لا يمكنهم الحفاظ على الاسلام في أجيالهم لعدم تمكنهم من تكوين المجتمع الإسلامي والمؤسسات الاسلامية التي تجعل ذلك ممكنا .

وهنا يجب التنويه على أنه في بعض الأحيان يمكن أن تعد بعض المجموعات الاسلامية أقلية رغم كونها أكثرية عددية في بلدها . وذلك بسبب تسلط الأقلية غير الإسلامية على الدولة بأسرها . وأمثلة ذلك في عصرنا الحاضر كثيرة ، مثل البانيا واثيوبيا وتنزانيا وغيرها . كما يمكن أن تعد بعض المجموعات الاسلامية أكثرية رغم كونها أقلية عددية في حالة هيمنتها على مؤسسات الدولة . وهكذا كان حال الدولة المغولية في الهند .

٣ ــ أصول الأقليات الإسلامية :

يمكن تحديد ثلاثة أصول مختلفة للأقليات الاسلامية : ــ

أ ــ عن طريق اعتناق الاسلام .

ب ــ عن طريق الهجرة الاسلامية إلى أراض غير إسلامية .

ج ــ عن طريق احتلال أرض اسلامية من دولة غير اسلامية وأدماجها فيها .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

٤ ــ الحالة الراهنة للأقليات الإسلامية :

لا تخلو اليوم دولة من دول العالم من مجموعة إسلامية ، وتختلف هذه المجموعات في الأهمية باختلاف حالة تنظيمها واعداد أفرادها . وواقع الأمر الذي لا جدال فيه أن الأقليات الاسلامية لم تحظ من طرف العالم الاسلامي بالاهتمام المناسب التي تستحقه والذي يتناسب مع المساندة الكبرى التي تحصل عليها الأقليات النصرانية واليهودية ماديا ومعنويا .

وهذا طبعا لا يقلل من المجهود الكبير الذي تقوم به مشكورة بعض الدول الاسلامية مثل المملكة العربية السعودية وبعض المؤسسات الاسلامية الكبرى كدار الإفتاء ورابطة العالم الاسلامي التي كانت كلها رائدة في التنويه بأهمية الاهتمام بالأقليات الاسلامية .

وتشترك كل الأقليات الاسلامية في يومنا الحاضر في خاصتين مهمتين : ــ أولهما تزايد عدد أفراد الأقليات نتيجة التزايد الطبيعي والهجرة . والتزايد الطبيعي عند المسلمين يزيد بكثير في غالب الأحيان على التزايد الطبيعي بين غيرهم وقد أدى ذلك إلى هجوم إعلامي يحث المسلمين على تقليل نسلهم .

أما الخاصة الثانية فهي أن أفراد الأقلية الاسلامية أصبحوا ضحية قوى انصهارية متعددة تعمل على ادماجهم في المجتمعات غير الاسلامية التي يعيشون فيها ، وهذه القوى تكون في أحسن الأحوال طبيعية وناتجة عن تقليد القليل للكثير والمغلوب للغالب والضعيف للقوى ، وفي أسوأ الأحوال تكون للأكثريات سياسة معتمدة للقضاء على الخاصية الاسلامية للأقلية مثلما حدث ويحدث في الدول الصليبية والشيوعية . فنرى إذن أن هاتين الخاصيتين للأقليات الاسلامية تعملان الواحدة ضد الأخرى . واذا لم تربط الأقليات الإسلامية مع بعضها ومع الأكثريات الاسلامية برباط روحي وثقافي متين يجمعها جميعا في أمة إسلامية واحدة كان مصير الأقليات الاسلامية مهما كثر عدد أفرادها وخيما لا قدر الله . وفي ضياع كل أقلية إسلامية ضياع للأمة الاسلامية لا يعوض وخطر على كل دولة اسلامية .

٥ ــ خاتمة

كان هذا المقال الأول كمقدمة للسلسلة التى سنكتبها عن الأقليات الاسلامية

www.ethraadl.com

الأهرام

أما الحالة الثانية ، فهي تحدث بهجرة المسلمين من ديارهم الاسلامية إلى دار غير إسلامية بسبب الظروف الانسانية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تضطرهم إلى الهجرة ، فإذا نجح هؤلاء في تنظيم أنفسهم والحفاظ على هويتهم ، أصبح بإمكانهم تكوين أقليات إسلامية في مناطق لم يكن فيها مسلمون من قبل . ومثال هذه الأقليات تلك التي تكونت في استراليا وزيلندا الجديدة وغيرهما .

أما الحالة الثالثة فهي عندما تحتل دولة غير إسلامية أراضي إسلامية فتدمج سكانها الذين كانوا أكثرية في عقر دارهم في أراضيها فيصبحوا أقلية دون هجرة . ومثال ذلك كثير في عصرنا الحاضر ، إذ هكذا تكونت كل الأقليات الاسلامية في شرق أوروبا كالتي في يوغوسلافيا وفي بلغاريا وفي اليونان نتيجة انحسار الدولة العثمانية ، والأقلية الاسلامية في الاتحاد السوفياتي نتيجة إستعمار الممالك الاسلامية في البحر الأسود وفي آسيا الوسطى من طرف الامبراطورية الروسية ، والأقلية الاسلامية في الهند التي نتجت عن انهيار الدولة المغولية .

وفي كثير من الأحيان تتكون أقلية إسلامية من أكثر من مصدر واحد . فمثلا تكونت الأقلية الاسلامية في الولايات المتحدة الامريكية من مصدرين مهمين هما الهجرة الاسلامية واعتناق الأهالي الإسلام .
كما تكونت الأقلية الاسلامية في تايلند من إحتلال الأراضي الاسلامية بالنسبة إلى منطقة فطاني والهجرة الاسلامية الاجبارية أو الطوعية بالنسبة للمناطق الأخرى من البلاد . وكذلك الحال بالنسبة للأقلية الاسلامية في الفليبين .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الأقلية الاسلامية إذا كان أفرادها في المستوى اللائق من العقيدة واتباع مبادىء الاسلام في الثبات على الحق وتوحيد الصف والدعوة بالتي هي أحسن لا محالة انقلبت إلى أكثرية واصبحت البلد كلها بلادا إسلامية . وهذا ما حدث بالفعل في كثير من الاحيان حيث كان المسلمون في اندونيسيا أقلية في القرن العاشر الهجرى ، كما كان الحال كذلك في ماليزيا . وكذلك تصبح الأكثريةالاسلامية أقلية إذا تشتت أهلها وابتعدوا عن الاسلام وضعفوا في الدفاع عن الارض والدين وهذا ما حدث في الماضي في كثير من الدول الاسلامية مثل الاندلس وصقلية ، فأصبحوا ذكرى ، ولمسملي الحاضر عبرة .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية